قراءة

سوق في بيروت خلال عشرينيات القرن العشرين أو ثلاثينياته (Getty)

المكان قرية لبنانية. الزمان فترة الاستعمار الفرنسي. تبدأ أحداث الرواية بميلاد طفلة بندبة على جذعها الأيسر، وهو ما كان يُعتبر نذير شؤم؛ فهذه الندبة لا تظهر إلا عند المختارين ليعيشوا أكثر من حياة

«اللعنة» لسها مصطفى
من زمن قديم وجيل مندثر

سوق في بيروت خلال عشرينيات القرن العشرين أو ثلاثيناته (Getty)

روحٌ واحدة وأجساد متعدّدة

علي صلاح بلداوي

في روايـة «اللعنة»، الصادرة عن «دار نوفل» في بيروت هذا العـام، تُقـدّم الكاتبـة السورية سها مصطفى، في 174 صفحة، سردًا مُكثفًا يمزج بين عوالم تاريخية وروحية مختلفة، ما يعكس نضجًا أدبيًا يتجاوز كونها تجربتها الروائية الأولى. تتوزّع الرواية على ثلاثة عشر بابًا، هي: باب الليل، باب الجواري، باب الزمان، باب المكان، باب اللعنة، باب العشق، باب النساء، باب الحرب، باب دمشق، باب الله، باب عشتروت، باب المَلك، باب البحر، ودور الأحداث بين زمانين ومكانين مختلفين، تربط بينهما خيوطٌ رفيعة، يتمثّل أبرزها بالاعتقاد الباطني بأنّ الروح لا تفنى، بل تعيش في كلّ مرّة حياة جديدة في زمانٍ ومكان مختلفَين.

في بداية الرواية، نُستقبل بولادة الطفلة «حمامة»، التي تأتي إلى الحياة في قرية علويّة تقع في جبال النصيرة، إبّان فترة الاستعمار الفرنسي. تولد لأسرة تسعى لإنجاب فتاة تساعدها في الحقل وتربية الأولاد، لكن سرعان ما تكتشف رفقة، عرّافة الأطفال والقابلة التي سحبت الطفلة من بطن أمّها، وجود ندبة على جذع الطفلة الأيسر، وهو ما كان يُعتبر في تلك الحقبة نذير شؤم. هذه الندبة تظهر فقط عند الأشخاص المختارين ليعيشوا أكثر من حياة، بروح واحدة تتنقّل بين أجساد متعدّدة عبر العصور والأماكن. ووفقًا لاعتقاد أهل القرية، فإنّ هذه الطفلة تحمل في روحها حكاية من زمن قديم وجيل مندثر. مع ولادة حمامة، تبدأ الرحلة الشاقة التي تسير في ظلّ عادات همجيّة وانتهاكات متكررة بحقّ النساء، إذ تتعرّض لاعتداءات من قبل والدها بتحريض من شيخ القرية الذي تكشف حقيقته بحدسها وقوّة بصيرتها، فيتّهمها بأنّها شيطانة ويجب التخلّص منها. هكذا يبيعها والدها ببساطة لأحد التجّار، لتعيش في أجواء قاسية وغريبة في مجتمع تشيع فيه التقوى ظاهرًا والرذيلة باطنًا، حيث المثليّة المنتشرة بين الرجال والنساء، وغلبة القويّ على الضعيف، وحتى اغتصابها.

تختطّ الرواية برؤى تتناول المجازر التي ارتكبها العثمانيون ضدّ العلويّين، حيث فتك السلطان العثماني سليم الأوّل بهم في حلب. رؤى الدماء والجماجم طاردت حمامة، رغم أنّها وُلدت بعد أربعة قرون من تلك الأحداث، لتنسج خيوطًا متشابكة بين التاريخ والعادات والمعتقدات الباطنية.

أمّا الزمان والمكان الآخران، فهما في فترة حُكم السلطان سليم الأوّل. محور هذه الفترة هو «رميا»، الفتاة الغنوصية التي نكتشف أنّها من أصحاب الكشف، حيث عاشت بصحبة «إنانا» بعد أن مات والدها. رميا هذه وجدت نفسها في قصر السلطان بعد أن أراد مضاجعتها فارش يدعى جعفر، فرفضت ليعود بعد فترة، يقتل إنانا ويحرق الحانة التي تعيش فيها رميا ويأخذها إلى إسطنبول، حيث يبيعها في سوق النخاسة إلى آتامالي، رئيس الحاشية في السراي، الذي سيضمّها إلى باقي محظيات القصر.

رغم أنّ حمامة ورميا تعيشان في زمنين مختلفين، إلا أنّ خيطًا شفيفًا يجمع بينهما، ما يجعل القارئ يلمح أنّ العلاقة ليست منفصلة، بل تعكس فلسفة تناسُخ الأرواح والانتقال بين الأجساد. حمامة التي تعيش في ظلّ الطائفة العلوية وتتماوج بين الإلحاد والمسيحية، ورميا التي تتبنّى حكمة الغنوصيين، تحاولان اكتشاف الذات وكشف الأسرار العميقة التي تخبّئها الروح. تتعمّق الرواية في استكشاف التاريخ للروح. إذا انتهى جسد رميا بالموت، فإنّ الروح تتجدّد بهرب حمامة والبدء بحياة جديدة، يغلب في الرواية الصوت الأنثوي مع تداخُل أصوات الذكور وتأثيرها في سير الأحداث، إلّا أنّها رواية تُقدّم المرأة بالدرجة الأولى، تضعها في قلب المعتقد والتاريخ والنظرة المجتمعية، هي في كل الأحوال مصائر لم يرغبن في عيشها بإرادتهنّ، هكذا يولد الإنسان ليجد نفسه في مكان وزمان لم يختَرهما، فيفرضان عليه سطوتهما وأقدارهما. بهذه الحبكة المعقّدة والمشحونة بالتفاصيل الفلسفية والتاريخية، تُثبت هذه الرواية أنّها ليست مجرّد تجربة أولى عابرة، بل عملٌ أدبي متكامل ينمّ عن جهد بحثي، حيث تُظهر الكاتبة إمكانيّتها في طرح المعتقدات الباطنية والغنوصية بشكل سلس ضمن السرد الروائي.

قدّمت الكاتبة روايةً مشغولةً بعناية، مزجا سرد متماسك على طول الخطّ، بلغة تجنح أحيانًا إلى التفلسف وشعرنة النص ومن ثمّ العودة به إلى طبيعته السردية. قد لا يخوض الكاتب في عمله الأوّل بمثل ما خاضت به سها مصطفى، لكونه يمثّل خلاصة بحث ومعرفة بأسرار ما تكتب عنه.

(شاعر وتشكيلي من العراق)

شخصيتان من زمنين مختلفين يجمع بينهما خيط شفيف

وخفاياه، عبر رحلة كلّ واحدة، حيث تعكس كلّ منهما انتماءها بطريقة مختلفة؛ حمامة المنتمية إلى طائفة تتناقل طقوسها الدينية شفهيًا، ورميا التي ترفض الأديان التقليدية وتعتنق «العقل وصبوة الحكمة» دينًا لها، فتظهر شخصيتها الحكيمة مع السلطان، وبين جدران قصره المحفوف بالدسائس والعلاقات المعقّدة.

رغم التشابه النفسي بين الشخصيّتين، سرد متماسك على طول الخطّ، حيث يلتقي مصير رميا الموت على يد السلطان، مثلها مثل كثيرات قبلها، بينما تهرب حمامة من قريتها متخفّية في زيّ راهبة إلى بيروت، بعد أن اتُّهمت بممارسة الفاحشة، حيث أرادوا قتلها. اختلاف المصير هو الإشارة إلى نهاية حياة وبدء أخرى، فلا نهاية حتميّة

صوت جديد

لا أجدني منتمياً إلى جيلٍ بعينه

حيدر صايغ

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

بغداد ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

لا توجد كلمات تصف ما يحدث في غزّة من دمار. ما يحدث اليوم هو جريمة الذي لا يلتئم. روح الانتقام الموتورة التي تعمل على إبادة غزّة قد تنعكس عليها في قادم الأيام والسنوات. "من الذي رأى نهاية الحرب؟" يقول أفلاطون، الذين ماتوا فقط هم من رأوا نهايتها. الصمت العالمي حيال ما يحدث يدعو للاستغراب والسؤال: هل انتهت الحلول حقًا؟ كان الإعلام العالمي موجّهًا لسنوات منصرفة للوقوف بوجه روسيا دفاعًا عن أوكرانيا بكلّ الطرق المشروعة وغير المشروعة، حتى نجحوا في إيقاف الزحف الروسي. تُرى ما الذي يمنعهم الآن من الوقوف بجانب غزّة التي تُباد بشكل واضح؟

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟

أعتقد أنّ الكتابة الأدبية الجديدة تشبه إلى حدّ ما الترجمة، بسبب الإقبال على قراءة الشعر والرواية المترجمة. تميل أيضًا الكتابة الحالية نحو أن تكون مأساوية بسبب الأحداث السياسية التي مرّت وتمرّ بها البلدان العربية وما صاحبها من تشتّت وانقلابات ثقافية. تنعكس هذه الظروف على الفرد/الكاتب ليخلق تشتّته الخاص. يميل الكاتب عادةً إلى تقديس نصّه، وبالأخص عندما يكون في بدايته، وفي غياب ثقافة النقد بصورة عامّة. يعيق هذا الأمر من عملية تطوّر النصّ، فنجد أنّ الكتابة حالياً تتشابه أسلوباً وصياغةً، فهي لا تعني الكاتب لفقر الصورة التخييلية. لا ننفي وجود تجارب جيّدة، لكنها ليست بما يكفي لإغناء الخصوصية الأدبية المصاحبة للتجارب العربية.

■ هل تشعر نفسك جزءاً من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

لا أجد نفسي منتمياً لجيل معين، ربما لأنّ الأحداث التي تصنعُ جيلاً ما كنتُ خلالها مارًا بحالة أشبه بغيبوبة.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

تكاد أن تكون منقطعة، فالكتابة في عقد التسعينيات وما قبلها لم تكن تبحث عن التجديد، لذا اضطرّت الأجيال في العقود السابقة للعودة إلى التراث لإيجاد منفذ للتعبير عمّا يعتمر داخلهم من صراع سياسي وأيديولوجي. أمّا الآن، وتحديداً بعد الحرب، ظهرت أساليب جديدة في الكتابة متأثرة بأبواب البلدان الأخرى. ننتمي اليوم إلى ما يمكن تسميته ثقافة انقطاع وليس إكمال عمل جيل سابق، نظراً لصور التفكير المتشتّتة.

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

علاقتي بهذا الجيل تكوّنت حديثاً، وتحديداً بعد حرب «داعش». فالكتابة عن هذه الحرب جمعتني بهم. أحداث من هذا النوع تقوّي الأواصر بين الكتّاب وتبيّن ملامح الجيل وميزاته. أستطيع أن أقول إنّ روح الإلهام أدركتني في هذه الفترة.

■ كيف صدر كتابك الأول وكم كان عمرك؟

نشرت أوّل كتاب لي في التاسعة والعشرين، وعنوانه «بحث في علم الهشاشة أو فن الاحتضار» عن دار «درج» في بغداد.

كتابتنا ماساوية بسبب الأحداث التي تعيشها البلدان العربية

■ أين تنشر؟

في عدد من الصحف والمواقع العربية.

■ كيف تقرأ وكيف تصف علاقتك مع القراءة، منهجية، مخططة، عفوية، عشوائية؟

تميل القراءة لديّ إلى العشوائية. ففي الوقت نفسه قد أقرأ شيئاً من الشعر الجاهلي ثم أبدأ بقراءة رواية عربية، ثم أقفز لقراءة قصّة قصيرة باللغة الإنكليزية. بالنسبة إلى الجوّ الذي يُشعرني بالراحة وأنا أقرأ فهي القراءة المصاحبة لأماكن النجارة وطرق الحديد. كما أحبّ أن أضع الأشياء التي أمامي خلف ظهري. ذلك يُقلّل من التوتّر ويزيد من تركيزي فيما أقرأه.

■ هل تقرأ بلغة أخرى إلى جانب العربية؟

نعم، بالإنكليزية.

■ كيف تنظر إلى الترجمة وهل لديك رغبة في أن تكون كاتباً مترجَماً؟

الترجمة هي إعادة تركيب للعبارة بلغة أخرى وفق إحساس المترجم بأنّ هذه العبارة هي المناسبة وليست غيرها، مُعتمداً على دراسة أسلوب وتجربة الكاتب. ربما تكون الترجمة أيضاً إعادة كتابة للنصّ الأصلي ومهما كان المترجم بارعاً في الوصول إلى المفردة المناسبة فقد يكون أيضاً بارعاً في الخروج على النصّ ومنه.

■ ماذا تكتب الآن وما هو إصدارك القادم؟

أعمل على رواية بوليسية تدور أحداثها في بغداد.

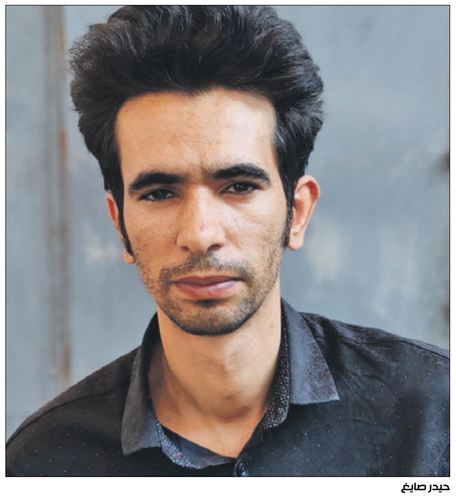
حيدر صايغ

بطاقة

قاص وكاتب عراقي مواليد مدينة بابل عام 1991. درس البيولوجيا وعلوم التحليلات المرضية. صدرت له مجموعة قصصية واحدة بعنوان «بحث في علم الهشاشة أو فن الاحتضار» عام 2020 عن «دار درج» في بغداد.

إطلالة

ما بعد الثورة

عباس بيضون

«سمك ميت يتنفّس قشور الليمون» عنوان شاعري لرواية خالد خليفة، الروائي السوري اللامع الذي تُمثّل روايته «مديح الكراهية» مفصلاً في الرواية السورية والعربية. خليفة، الذي توفي باكراً منذ عام، ترك هذه الرواية التي اجتهدت «دار نوفل» (دمغة هاشيت أنطوان) في نشرها. تلك هي روايته الأخيرة، تراها تكون وصيته الروائية، كما يخطر في مناسبة كهذه. لا نملك جواباً بالطبع، لكنّ الرواية، شأنها شأن روايات خالد خليفة، فريدة في مؤلّفه. فريدة في رؤيتها وأسلوبها، وحتى لغتها. ليس العنوان وحده شاعرياً يجعلنا نتساءل عن صلة خليفة بالشعر، الشعر مبثوث في فصول الرواية، وإحدى بطلاتها شاعرة، وما ينصّه خليفة من شعرها قصائد حقيقية. لا أعرف كثيراً عن سيرة الكاتب في هذا المجال، لكنّنا لا نشكّ، من قراءة الرواية، أنّ له نصيباً من الشعر، وليس غريباً عنه.

رواية خالد خليفة لا تمرّ على الثورة السورية، ولا تعلن عنها. إن نحن أخذنا بتفاصيلها، وحاولنا أن نجد لها ميقاتاً، لن نستطيع ذلك بسهولة. هي في الظاهر من زمن يسبق الثورة، إنّها سورية الأمس لا اليوم. مع ذلك لا نجد في الرواية ما يناسب هذا التاريخ. لدينا شعور بأنّنا في زمن غير محدود، لكنّه يشبه زمننا الحاضر. لا نجد إشارة إلى الأحداث السورية العاصفة الآن، لكن الرواية، وهي في طياتها تحتمل عنواناً آخر هو «المسوخ»، تغوص في لغة الخراء من أوائل مفرداتها، ومع الخراء، هناك بالطبع العنف والتعذيب والزبانية والسيادة العسكرية ودولة المرتزقة واللصوص والفجور والعهر. لن نشعر عند ذلك بأنّنا في زمن غير زماننا وأنّ سورية، هذه المرزّقة المنهارة، ليست غريبة عن سورية اليوم.

لا بدّ أنّ خالد نصّ في روايته هجاءً فظيعاً للواقع، يصحّ على سورية اليوم، ولو كانت جذوره في زمن غير مسمّى. ثم إنّنا، ونحن نقرأ الفصل الأوّل من الرواية الذي يتكلّم عن جماعة انتظمت في فرقة موسيقية تستلهم بوب مارلي وموسيقى الجاز، أعضاء هذه الجماعة، بعد أن تركوا أثراً في تاريخ المدينة بحفل الكنيسة الذي بقي في الذاكرة، ما لبثوا أن تفرّقوا وبقيت الفرقة وحفلها التاريخي في ذاكرته، بل هي تقريباً العصر الذهبي لهم.

ليست الموسيقى بالنسبة إلى هؤلاء هواية فقط، إنّها رؤية وقراءة ونمط حياة. ما بعد الفرقة كان حيرة وضياعاً وانحرافاً في أحيان. بعد الفرقة نمرّ على أربعة أفراد منها، والأربعة يشكّلون، بخاصة الاثنان الأولان، هذه الخيبة وهذا الارتداد وذلك الفشل. هكذا يخطر لنا أنّ الفرقة استعارة لجيل ما قبل الثورة، استعارة للحلم الثوري، حلم التغيير الذي ما لبث أن خاب، بعد الثورة، وصار إلى ما نشهده اليوم، التفتّت والانحدار والسقوط. يمكننا هكذا أن نقرأ في الرواية استعارة موارية لسورية اليوم. استعارة تصلح وتصحّ، على العالم العربي كلّه، بعد انهيار الربيع العربي وسقوطه.

مع ذلك فإنّ رواية خالد خليفة التي تُذكّر بحاضر موروث، حاضر تاريخي إذا جاز القول، تُطلّ على شخصيات ما بعد انطفاء الحلم التغييري. سام أحد تلك الشخصيات لا يستطيع أن يفلت من مجتمعه العسكري، وأقاربه النافذين. إنه يبقى أمام ما يجري حائراً ساهماً ساكتاً، بل ومتواطئاً من حيث لا يدري أو لا يريد. مريانا المسيحية تيأس من سام الذي تحبّه والعاجز عن تلبيتها، وتتزوّج ثرياً فاسداً جشعاً وبخيلاً. لكنّها، رغم ذلك، تُواصل صلتها بسام، صلة تبقى معلّقة ضائعة، إلى أن تعود إلى زوجها وإلى أميركا، بعد أن سئمت من سام.

مع ذلك لا يبقى خليفة في سلب المطلق. إنّه ليس مثل روني، بطله الذي يجد الماضي وحده حقيقياً، ولا يعترف بالحاضر إلّا بوصفه تمهيداً للماضي. لن يكون المستقبل مع ذلك مطوياً مسدوداً. مع موسى ومنال نجد أنفسنا أمام حاضر موزون، وأمام بداية للمستقبل. موسى الثري ابن العائلة، متوازن مع أصله، لكنّه لا يرضخ له، بل يختار لزواجه منال، ابنة قوّاد ومغسّل موتى. منال الشاعرة تكاد تكون الحلم الثاني، إنّها قادرة على الخلاص من حاضرها الماضي، الذي، برغمه حقّقت نفسها مترجمة وشاعرة، ثم هناك ولداها من موسى، الوحيد الذي تحبّه ونعرف كيف تحبّه وكيف يحبّها. نحن هكذا أمام مستقبل.

(شاعر وروائي من سورية)

شعر

نلتقي صدفةً على طريف التبّانة الذي يلفّ مدينة لا تنتهي

يسأل عن الأشياء الكاملة

فادي أبو ديب

1
يسأل عن الأشياء الكاملة
يبحث بين السطور والكلمات
ولَكنّ الكلام كلام
والكنوز لا تُدفن بين السطور؛
ثمّ صار يبحث عن الطمأنينة
يفتّش بين الضوء والضوء
في أركان العيون وموسيقى الأصوات؛
ثمّ عثر عليها
على بوّابة النوم
داخل الصوت الذي يسأله برفق
عن اسم منسيّ
كان يتردّد دائمًا
في أغاني الأقاليم الحارّة.

2
تسالينني أيّ ظهيرة أُحبّ؟
تلك التي تتوقّف على حدود الستائر
المخملية
ثم تُطلّ من ورائها بضياء طريّ
تلك التي تسبح أشعّتها المتسلّلة بهدوء
في مسارب الزجاج العسليّ الداكن
وتأتي معها بأصوات البحر في القواقع
الغريبة.
أُحبّ تلك الظهيرة
التي تنمو فيها نباتات غرفة الجلوس
أمام العين الناظرة
ومعها أصداء هتافات أولاد من وادٍ بعيد
تلك التي أسأل فيها
عن اسم اليوم
فيأتيني مالوفًا
ولَكن في آخره لحن
كأنّ الزمان الآن يتداعى
وبغتةً يجتاحني السرور.

3
مشبعٌ بالمطر
كرزُ هذه الحديقة
نويرات قِرمزٍ فَلَكيّ
تزيّن جدران فُلك الضباب السيّار
موجة إثر موجة
يُعسكر في الأرجاء
يدثّر كامل الجسد الأخضر
ثمّ ينادي الغزلان وأولاد البريّة والأيل
العملاق
ولكن ها هو أيضاً
الإنسان الذي حنث بالعهد
وأدّى سرّاً قَسَم الأبائل -
أمدّ يدي
لأسطو على اللحظة
أنتشل من بطن الأرض مفاتيح الأقاليم
الحارّة
أنس إلى الصورة:
من يعرف طعم الشفاه المسروقة حين تكون
كأوّل حليب التين؟
أنال حصّتي من الغنيمة أيها العالم
وأستغرق طويلاً
في الزمن السكّري.

4
وحده
على زاوية شارعَين
بين عشرات الأزقّة المتداخلة
يسهر تحت أضواء النيون
في العتمة السرمدية.
جدران السيراميك الأبيض
سيجارته المشتعلة
مذياعه الطروب الخافت
بقايا روائح الشواء واللحم النيء
كانت كلّها لأجلنا
نحن التائهين
الدوّارين بين الأشياء نصف الميتة
إبراً في الروح
ورعدة في القلب
الذي كان ينوس كلّ الليل
بين رغبة الانغماس
وشهوة الفرار.

5
ألف مرّة نلتقي
صدفةً في نصف العتمة
على طريق التبّانة
الذي يلفّ مدينة لا تنتهي
وكلّ مرّة تقولين:
لأجل عينيّ اللتين تحبّهما
أُحرس ضجيج المجرّة
الذي لا يخنقني
وتظاهر بأنّك حبيبي.

(شاعر وكاتب سوري مقيم في السويد)

حروفية ليزيد خلوفي (الجزائر)

فعاليات

حتى لا ننسى عنوان محاضرة تفاعلية عن القضية الفلسطينية تستضيفها «مكتبة تكوين» (فرع الشويخ) بالكويت العاصمة عند الخامسة والنصف من مساء غد الاثنين. المحاضرة الموجّهة للأطفال من تقديم فريق **Real Science**، ويتحدّث المشاركون فيها عن فلسطين واهمّ معالمها والمسجد الاقصى وقبّة الصخرة.

يحتضن «مبنى 15» في «الحيّ الثقافي كتارا» بالدوحة، عند السادسة من مساء غد، عرض فيلم **مانديلا: مسيرة طويلة نحو الحرية** (2013) للمُخرج **جستن تشادويك**. يستند الشريط إلى مذكّرات مانديلا التي يروي فيها سيرته الذاتية منذ طفولته وصولا إلى رئاسة جنوب افريقيا، مرورا بنضاله ضدّ التمييز العنصري وسجنه 27 عاما.

تحت عنوان **إنعام كجه جي: شهادة إبداعية**، يستضيف «منتدى مؤسّسة عبد الحميد شومان» في جبل عمّان، عند السادسة والنصف من مساء غد الاثنين، الروائية العراقية (1952/ الصورة) المقيمة في باريس، في لقاء للحديث عن تجربتها الادبية. تدير الحوار، الذي يُبثّ عبر «زووم»، الاكاديمية والناقدة اماني سليمان.

يحتضن «مركز الموسيقى العربية والمتوسّطية» في تونس، بين 17 و20 تشرين الأوّل/ اكتوبر الجاري، دورة جديدة من تظاهرة **طربيات النجمة الزهراء**. تتضمّن الدورة اربع حفلات يغنّي فيها كلٌّ من **انيس لطيف** لـ**محمد الجموسي**، و**امين سعيّد** لـ**علي الرياحي**، و**محمد سعيد لوديع الصافي**، و**محمد الجبالي** لـ**محمّد عبد الوهاب**.